مادة الأدب الإسلامي / المرحلة الثانية

د. ميسون محمد عبد الواحد

المحاضرة الخامسة

عنوان المحاضرة: (موضوعات همزية حسان بن ثابت)

١- المقدمة الطلية

أما المقدمة الطللية فقد كانت مكونة من (١٠ أبيات) ، ويقف فيها الشاعر على مواضع في بلاد الشام يبكي أطلالها المقفرة التي كانت أنيسة باهلها وما يملكون من أنعام وشياه ، وسرعان ما ينتقل من وصف الديار الى تذكر خيال الحبيبة الذي يلح في اقتحام مخيلته فيؤرقه ، ثم ينتقل الى وصف الخمرة متذكراً أيامه في الجاهلية.

يقول حسان في مقدمته الطللية:

١- عَفَت ذاتُ الأَصابِعِ فَالجِواءُ إِلى عَذراءَ مَنزِلُها خَلاءُ

٢- دِيارٌ مِن بَني الحَسحاسِ قَفرٌ تُعَفّيها الرَوامِسُ وَالسَماءُ

٣- وَكانَت لا يَزالُ بِها أَنيسٌ خِلالَ مُروجَها نَعَمٌ وَشاءُ

٤- فَدَع هَذا وَلَكِن مَن لَطيفٍ يُؤَرِّقُني إِذا ذَهَبَ العِشاءُ

٥- لِشَعثاءَ الَّتي قَد تَيَّمَتهُ فَلَيسَ لِقَلبِهِ مِنها شِفاءُ

٦- كَأَنَّ خَبيأَةٍ مِن بَيتِ رَأسٍ يَكونُ مِزاجَها عَسَلٌ وَماءُ

٧- عَلى أَنيابِها أَو طَعمُ غَصٍّ مِنَ التُفّاحِ هَصَّرَهُ اِجتِناءُ

٨- إِذا ما الأَشرِباتُ ذُكِرنَ يَوماً فَهُنَّ لِطَيِّبِ الراحِ الفِداءُ

٩- نُوَلّيها المَلامَةَ إِن أَلَمنا إِذا ما كانَ مَغثٌ أَو لِحاءُ

١٠- وَنَشرَبُها فَتَترُكُنا مُلوكاً وَأُسداً ما يُنَهنِهُنا اللِقاءُ

٢- تهديد المشركين

والأبيات من (١١-١٦) تمثل بداية تطور للقصيدة العربية ومقدماتها ، ويبدأ حسان جوها بتهديد شديد اللهجة لقريش ، يوحي بثقته بجماعته ونصر الله حتى سبق

خياله أحداث فتح مكة فيما بعد ونصر الله المسلمين وقد تخيل حسان خيول المسلمين وهي تقتحم شعاب مكة تاركة الخوف والهلع يدب في نفوس قريش ، والنساء يتقين سنابل الخيل بضربها بخمورهن.

يقول حسان:

١١- عَدِمنا خَيلَنا إن لَم تَرَوها تُثيرُ النَقعَ مَوعِدُها كَداءُ

١٢- يُبارينَ الأَسِنَّةِ مُصغِياتٍ عَلى أَكتافِها الأَسَلُ الظِماءُ

١٣- تَظَلُّ جِيادُنا مُتَمَطِّراتٍ تُلَطِّمُهُنَّ بِالخُمُرِ النِساءُ

١٤- فَإِمّا تُعرِضوا عَنّا اِعتَمَرنا وَكانَ الفَتحُ وَاِنكَشَفَ الغِطاءُ

١٥- وَإِلّا فَاِصبِروا لِجَلادِ يَومٍ يُعينُ اللَهُ فيهِ مَن يَشاءُ

١٦- وَجِبريلٌ رسولُ اللَهِ فينا وَروحُ القُدسِ لَيسَ لَهُ كِفاءُ

٣- الفخر الجماعي بالمسلمين

والأبيات من (١٧-٢١) تمهد الى فكرة الفخر بالجماعة الاسلامية التي كانت قريش واثقة من نصر الله تعالى لهم ورسوله-صلى الله عليه وسلم، ويسندهم جبريل -عليه السلام- بالوحي الذي ينزل من الله على الرسول وهم يصدقونه ويطيعونه . أما أنتم يا معشر قريش فقد أبيتم إلاّ تكذيب الرسول - صلى الله عليه وسلم - وخذلانه وقد عوضه الله تعالى بالأنصار الذين دافعوا عنه ، وبهذا يفخر بالجماعة الإسلامية بدلاً من الفخر بالقبيلة. يقول حسان:

١٧- وَقالَ اللَهُ قَد أَرسَلتُ عَبداً يَقولُ الحَقَّ إِن نَفَعَ البَلاءُ

١٨- شَهِدتُ بِهِ وَقَومي صَدَّقوهُ فَقُلتُم ما نُجيبُ وَما نَشاءُ

١٩- وَقالَ اللَهُ قَد يَسَّرتُ جُنداً هُمُ الأَنصارُ عُرضَتُها اللِقاءُ

٢٠- لَنا في كُلِّ يَومٍ مِن مَعَدٍّ قِتالٌ أَو سِبابٌ أَو هِجاءُ

٢١- فَنُحكِمُ بِالقَوافي مَن هَجانا وَنَضرِبُ حينَ تَختَلِطُ الدِماءُ

٤- الهجاء الشخصي

والأبيات من (٢٢- ٢٧) في هجاء الشاعر أبي سفيان بن الحارث تلك الشخصية الخاوية من الفطنة والكياسة ، فيجرده من جماعته ، فهو فارغ لا علم ولا رأي صائب له ، ودليل هذا ما أشار به أبو سفيان يوم أحد بشأن اللواء الذي حمله جماعة من بني عبد الدار ، فكلما حمله واحد قتل بيد واحد من المسلمين فقد حمله طلحة بن أبي طلحة فقتله علي بن أبي طالب – رضي الله عنه- مبارزة ، وحمله عثمان بن أبي طلحة فقتله الحمزة – رضي الله عنه- وأخذه سعيد بن أبي طلحة فقتله سعد بن أبي وقاص – رضي الله عنه ... ، وبذا يعيرهم حسان بانهم ضيعوا اللواء الذي حملوه عن قريش فبماذا يفخر الشاعر أبو سفيان. قال حسان:

٢٢- أَلا أَبلِغ أَبا سُفيانَ عَنّي فَأَنتَ مُجَوَّفٌ نَخِبٌ هَواءُ

٢٣- بِأَنّ سيوفنا تركتك عبداً وعبدُ الدار سادتها الإماءُ

٢٤- هَجَوتَ مُحَمَّداً فَأَجَبتُ عَنهُ وَعِندَ اللهِ في ذاكَ الجَزاءُ

٢٥- أَتَهجوهُ وَلَستَ لَهُ بِكُفءٍ فَشَرُّكُما لِخَيرِكُما الفِداءُ

٢٦- هَجَوتَ مُبارَكاً بَرّاً حَنيفاً أَمينَ اللهِ شيمَتُهُ الوَفاءُ

٢٧- فَمَن يَهجو رَسولَ اللهِ مِنكُم وَيَمدَحُهُ وَيَنصُرُهُ سَواءُ

٥- مديح الرسول – صلى الله عليه وسلم:

وفي البيت (٢٨) يقابل حسان بين صورة أبي سفيان المهجوة ، وصورة الرسول – صلى الله عليه وسلم- البر الحنيف ، وأبو سفيان فداء لرسول الله وهو ليس له بكفء ، وبذلك لا قيمة لمن يهجوا الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم- لانه محاط بالمسلمين الذين يفتدونه بأنفسهم وأموالهم وأعراضهم ، وحسان واحد منهم .

قال حسان:

٢٨- فَإِنَّ أَبي وَوالِدَهُ وَعِرضي لِعِرضِ مُحَمَّدٍ مِنكُم وِقاءُ

٦- هجاء قبلي

وفي الابيات (٢٩- ٣١) يتطرق حسان الى هجاء قبلي فتخفت فيه عاطفته ، وتبدو أبياته ليست بتلك القوة من الروح الفنية أو العاطفية كما يرى بعض الباحثين، إذ يكتفي بذكر أسماء من تحالف من مشركي قريش ضد المسلمين ، مع صورة للأظفار التي تعلق فيها الدماء كناية عن الغلبة عليهم والنقمة منهم ، وما من شك أنّ الشاعر كان مظطرا لتعداد أسماء القبائل حتى يكشف عن مواقفهم.

قال حسان:

٢٩- فَإِمّـا تَـثْقَفَنَّ بَنـو لُـؤَيٍّ جَذيمَـةَ إِنَّ قَـتلَهُمُ شِـفاءُ

٣٠- أولَئِكَ مَعشَرٌ نَصَروا عَلَينا فَفـي أَظفارِنـا مِـنهُم دِمـاءُ

٣١- وَحِلـفُ الحَـرِثِ اِبـنِ أَبـي وَحِلـفُ قُرَيظَـةٍ مِنّـا بُـراءُ

٧- **الفخر الشخصي**

ويختتم القصيدة ببيت واحد هو(٣٢) بلسانه الصارم وشاعريته التي لاتغلب ، وكأنّ هذا البيت يبدو غريباً عنها ، ويرى بعض الباحثين أن القصيدة قد تكونت من قسمين وأنها قيلت في أوقات متفاوتة لأننا نحس بتفاوت أسلوبها قوة وضعفاً ، صدقاً وعاطفة .

قال حسان:

٣٢- لِساني صارِمٌ لا عَيبَ فيهِ وَبَحـري لا تُكَـدِّرُهُ الـدِلاءُ

الخصائص الفنية لهمزية حسان بن ثابت:

ومن أبرز الخصائص الفنية لهمزية حسان بن ثابت:

١- أن الشاعر استهلها بمطلع طللي سلك فيه طريق السابقين من الوقوف على الأطلال وذكر الخمرة بعدها فضلا عن طيف الحبيبة.

٢- ترددت ألفاظ عديدة تحمل دلالة الروح وتقاليد الجاهلية التي ما زال الشاعر متأثراً بها، ولعل هذا ما يبرر الرأي القائل أن هذه القصيدة نصفها كتب في الجاهلية ونصفها كتب في صدر الإسلام. إذ وردت ألفاظ عديدة اكتسبت ثوب الجاهلية وهذا

لا يعني عدم وجود ألفاظ تحمل في ثناياها المعاني الإسلامية، ففي القصيدة معان إسلامية جمة مذكورة وظاهرة للعيان.

ومن الألفاظ الجاهلية: (عفت، شعثاء، الجواء والأصابع ، متمطرات ، تثير النقع ، بني الحسحاس، الروامس ، الأسل).

ومن الألفاظ الإسلامية : (جبريل عليه السلام ، أمين الله فينا ، الجزاء، اعتمرنا ، رسول الله).

٣- بالغ الشاعر في وصف سرعة الخيل ليخيف العدو؛ فهو يمدح الخيل، ويصف شوقها للحرب، فهي ماضية لا تنثنى وعلى أكتاف فرسانها الرماح المتعطشة للدماء.

٤- التركيز على الصوت الجماعي والضمير الجمعي وغياب الجانب الفردي والشخصي إلا في مواضع محدودة للتعبير على قوة الجماعة الإسلامية في صناعة النصر على المشركين.

٥- التصوير الفني البياني كان حاضرا في صياغة هذه القصيدة نحو الاستعمال الكنائي كما في قوله: (عفت ذات الأصابع: كناية عن الزوال والقدم) ، (منزلها خلاء: كناية عن رحيل المحبوبة).(طيف يؤرقني: استعارة مكنية فيها تشخيص)،(هن الفداء: تشبيه بليغ فيه تجسيد)، (تتركنا ملوكا وأسدا: تشبيه)، (انكشف الغطاء: استعارة تصريحية، تؤكد بزوال الشرك وأثره)، (أنت مجوف نخب هواء: تشبيهات بليغة). فضلا عن الاستعمال المجازي نحو قوله: فنحكم بالقوافى: مجاز مرسل علاقته جزئية ، إذ أراد الكل (الشعر) وذكر الجزء (القوافي) لدلالتها عليه.

٦- من ناحية الأساليب فقد مزج الشاعر بين الخبر والإنشاء لإضفاء المزيد من الإثارة والتشويق والمتعة في القصيدة. نحو: (دع هذا: أسلوب أمر غرضه الالتماس) ، (عدمنا خيلنا: أسلوب خبري لفظا إنشائي معنى غرضه الدعاء على الخيل)، (اصبروا: أمر غرضه التهديد). واستخدم الشاعر أساليب الشرط ليربط الأمور بنتائجها للإقناع، ومن أمثلة ذلك: فإما تعرضوا عنا اعتمرنا..... وكان الفتح وانكشف الغطاء.

٧- تكرار النفي في قوله: (لا نقوم ولا نشاء) مما يؤكد إصرار الكافرين وعنادهم. فضلا عن الاتساق والانسجام بين الألفاظ نحو: مصعدات ومتمطرات.

٨- نجد التصريع في البيت الأول وهو يُحدث أثرا موسيقيا. وجاء استخدام الشاعر للبحر الوافر مناسبا ، وملائما لطبيعة الشعر الإسلامي ، الذي يمتاز بالليونة والرقة، وكذلك تلاءم مع الأغراض التي وردت في قصيدته(الهمزية)، فالبحر خدم الموضوع ، لأن الوافر من البحور الجادة وقد اعتمد عليه الشعراء في كثير من الموضوعات، وقد وظفه الشاعر ليؤدي مضمون الرسالة الجديدة. فقد وافق البحر الوافر تطلعات الشاعر الجديدة المفعمة بروح إيمانية جهادية وحماسية. فالموقف حماسي جدا وتطلب أن يكون البحر الوافر الشكل الإيقاعي المناسب له.

٩- ونجد أن الوحدة العضوية شبه متحققة فى القصيدة فقد ترابطت الأفكار فيها وتناسق توظيف الأغراض الشعرية ؛ ليؤدي كل غرض دوره في توصيل المعنى العام للقصيدة. فعلى الرغم من تعدد الأغراض في النص، فإن الجو العام المسيطر على القصيدة هو الدفاع عن الدين والرسول – صلي الله عليه وسلم- وكل الأغراض كُرّست من أجل ذلك، وما كان من الفخر والوصف والهجاء إلاّ بسبب عاطفة حب الرسول والرسالة.

١٠- استطاع الشاعر أن يجمع بين المذهب البدوي للشعراء المطبوعين، والغرض الجديد الذي نظمت القصيدة خدمة له؛ فقد حافظ على بنية القصيدة الخارجية من حيث الشكل في الافتتاح والطلل وذكر الطيف ووصف الخمر، وأدى التزامه من حيث المضمون في الدفاع عن العقيدة، وهو يرد على شعراء قريش. ومن خلال ذلك ظهرت بوادر التجديد على مستوى البناء الداخلي في استخدام ألفاظ جديدة متأثرة بالعقيدة الجديدة ومصطلحاتها، الأمر الذي يجعلنا نعتقد أن بوادر التجديد في القصيدة بدأت في عصر رسول الله- صلى الله عليه وسلم.